



النقائش الإسلامية بليبيا: قراءة في أهم الدراسات والمحصلة النقائشية

Islamic inscriptions in Libya: A reading of the most important studies and the inscriptional outcome

علي الشايب بن ساسي، أستاذ مساعد، جامعة الزيتونة مخبر الآثار والعمارة المغاربية (منوبة) (تونس)

alicheib2015@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2024/06/20 تاريخ القبول: 2024/07/16 تاريخ النشر: 2024/12/01

ملخص:

لقد مثلت النقائش الإسلامية ولا تزال مصدرا مهما في إثراء الدراسات التاريخية والفنية للمدن والأمصار. وتتميز ليبيا بغياب "مدونة للنقائش الإسلامية" على الرغم من حضور عديد المدونات العالمية منذ القرن التاسع عشر¹. وفي سياق اهتمامنا بدراسة النقائش الإسلامية خاصة خلال الفترة العثمانية (1551-1911)، بمدينة طرابلس الغرب، وفي محاولة منا لجرد النقائش وتحليل محتواها، لاحظنا مدى ثراء العاصمة الليبية بالمخزون النقائشي باللغتين العربية والعثمانية. وتهدف هذه الدراسة إلى استقراء أهم الدراسات التي اهتمت بالنقائش الإسلامية خلال أهم المحطات التاريخية من تاريخ ليبيا الإسلامي، من الفتح إلى الحضور العثماني. وسنحاول كذلك بيان المحصلة النقائشية انطلاقا من الأعمال الميدانية المنجزة وأهم الأفكار والمباحث المتعلقة بها، أي المقاربات التاريخية والفنية ذات الصلة بالنقائش الإسلامية الليبية.

كلمات مفتاحية: نقائش إسلامية، ليبيا، دراسات نقائشية.

Abstract:

L'inscription islamique a été souvent une source importante d'enrichissement des études historiques et artistiques des villes et des pays. La Libye se distingue par l'absence du "répertoire d'épigraphie islamique", en dépit de la présence des répertoires internationaux dès la moitié du dix-neuvième siècle. Dans les dernières années, nous avons étudié les inscriptions de la Tripoli ottomane (1551-1911). Une tentative d'étude épigraphique des inscriptions et d'analyse de contenu a été menée minutieusement, dont nous avons constaté la richesse de la capitale libyenne du patrimoine épigraphique, en langues arabe et ottomane. La présente étude consiste à extrapoler les études les plus importantes traitant des inscriptions islamiques à travers les différentes périodes historiques clés de l'histoire islamique Libyenne, de l'invasion arabe à la présence ottomane. Nous essayerons également de donner des statistiques des inscriptions libyennes à partir les travaux de terrain menaient en Libye, en traitant les idées et les sujets qui peuvent être tirés et étudiés à partir de ces sources épigraphiques. Autrement dit, les approches historiques et artistiques liées aux inscriptions islamiques libyennes.

Keywords: épigraphie, inscriptions islamiques, Libye, études épigraphiques.

¹ نذكر على سبيل المثال لا الحصر مدونة صقلية (سنة 1875) ومدونة القاهرة (سنة 1894) ومدونة الجزائر (سنة 1901)....



مقدمة:

حرص المسلمون عموما على تخليد الكثير من أعمالهم بواسطة كتابات نقائشية مازالت تحاكي آثارهم حملة برسائل تاريخية متنوعة (سياسية وثقافية واجتماعية)، وتساهم بشكل أو بآخر في كتابة التاريخ العمراني للمدن الإسلامية. وفي جانب آخر، هذا المسلمون عموما والليبيون خصوصا حذو أسلافهم في مجال تأريخ موتاهم بشواهد قبرية حاملة لنصوص نقائشية ثرية نُهلت من سجلات دينية وأدبية وجنائزية، وقَدِّمت العديد من الإضافات إلى هذا الجنس من الوثائق الأثرية المصدريّة. ومنذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وفي نطاق مزيد الاهتمام بالعالم الإسلامي وحضارته، عكف بعض الباحثين على دراسة الآثار الإسلامية ومن ذلك البحوث المتعلقة بالنقائش. وبذلك ظهرت المؤلفات الجماعية والفردية التي تُعنى بجمع النقائش الإسلامية وتوثيقها¹. ولكن رغم ما شهدته الأقطار والأقاليم الإسلامية من تطور في عملية جرد وتوثيق النصوص النقائشية، فإن فكرة "المدونة النقائشية الليبية" لم تنضج بعد، حتى أن الدراسات النقائشية الإسلامية تكاد تكون منعدمة باستثناء البعض منها التي أنجزها بعض الايطاليين الذين اقتصرّت مجهوداتهم التوثيقية على المواقع الأثرية القديمة والرومانية على وجه الخصوص، بحثا على شرعية تاريخية للاستعمار المعاصر، وبذلك كانت دراسات الآثار الإسلامية عموما قليلة.

وفي هذا السياق البحثي سنسعى إلى تقديم أهم الدراسات التي عُنيت بالنقائش الإسلامية الليبية، لنحاول بعد ذلك تقديم محصلة للنقائش بالقطر الليبي انطلاقا من الدراسات والأعمال الميدانية، ولنختتم بإبراز الخصائص العامة للنقائش الإسلامية الليبية، أي أهم الأبعاد والإضافات التاريخية والفنية التي يمكن أن نستقيها من خلال هذه الوثائق المصدريّة.

1.. النقائش الإسلامية الليبية في الدراسات الحديثة:

لم يقتصر الاهتمام بالآثار على المدونين فقط، بل حتى الملوك والأباطرة كانوا مُولعين بها². وفي الفترة الإسلامية ظل الاهتمام بها مستمرا سواء لدى الكتاب¹ أو الأمراء والسلاطين. فبالنسبة إلى الحكام فقد قاموا

¹ يستعمل أيضا مصطلح "النقوش" للتعبير عن هذا الاختصاص الذي يُعنى بدراسة النصوص النقائشية، وغالبا ما نُسعمل مصطلح "النقائش" ضمن دراساتها.

² مثل الإمبراطور الروماني يوليوس قيصر الذي كان مولعا بجمع التحف القديمة خاصة الأحجار الكريمة المنقوشة.



يجلب بعض ما تبقى من الآثار القديمة وجمعها وإعادة استعمالها في بناء منشآتهم الجديدة وتزيينها كالأعمدة والتيجان. وأحيانا احتفظوا بعمائر وأعادوا استعمالها دون تهديمها مع إضافة توقيعاتهم الكتابية عليها تخليداً لمنجزاتهم². لكن الملفت للانتباه أن الاهتمام بدراسة النقائش الإسلامية لم يكن بالشكل المطلوب، وقد تواصل ذلك إلى موفى القرن التاسع عشر رغم أن الحضارة الإسلامية أتقنت التدوين و"خطاب الحجاره". فالحاكم سواء كان خليفة أو سلطاناً أو أميراً أو داياً أو باياً، وظّفوا النصوص المنقوشة على الحجاره لإبراز أنهم أصحاب السلطة وأنهم يحسنون استعمالها وتوظيفها لصالح العامة، وذلك بتشيد المساجد والمعالم الأخرى ذات المصلحة العامة، هذا إلى جانب بعض العامة من المسافرين الذين وقّعوا أثناء مرورهم بأماكن عدة³.

ولإعطاء فكرة وجيزة عن الأهمية العددية للنصوص النقائشية الإسلامية، تكفي الإشارة إلى بعض الأرقام للنقائش المدرجة بمدونة النقائش الإسلامية (Thesaurus d'Epigraphie Islamique) التابعة لمركز الدراسات ماكس فون برشام بجنيف (Fondation Max Van Berchem-Genève)، والعدد مرشح للزيادة خاصة وأن المقات وربما الآلاف من النقائش لم تدرج بعد ضمن هذه المنظومة الإعلامية المخصصة لجرد النقائش، فقد أدرجت 53594 جذاذة نقيشة مرفقة بـ 29067 صورة⁴.

جدول 01:

نماذج من بعض الدول وعدد النقائش المدرجة بمدونة النقائش الإسلامية (Thesaurus d'Epigraphie Islamique)

البلد	العدد
أذربيجان	541
أرمينيا	70

¹ بالنسبة إلى الكتاب فإن الكثير منهم (خاصة الرحالة والجغرافيين) من جاءت نصوصهم مطعمة بأوصاف المعالم الأثرية والمدن القديمة، مثل الإدريسي والمقرئزي والمقدسي والبكري. فمن الكتاب من دعا إلى حفظ الآثار وصيانتها، كابن خلدون وعبد اللطيف البغدادي، باعتبارها من تراث الأمة.

² نصوص نقائشية تدون تاريخ بناء أو ترميم معلم ما.

³ نتحدث هنا عن المخريشات (graffiti) وهي تدل على بعض الكتابات التي جاءت في شكل توقيعات المارة أثناء حلولهم بذلك المكان. وغالباً ما ترد هذه المخريشات بالمعالم القديمة والصخور والكهوف.

⁴ <http://www.epigraphie-islamique.org/>. تاريخ الدخول للموقع 2023/01/03.



اسبانيا	2938
أفغانستان	1209
ألبانيا	15
ألمانيا	1
ايطاليا	303
البحرين	84
بلغاريا	33
البوسنة	75
تركيا	5236
تونس	1974
الجزائر	267
السعودية	3542
الصين	398
فرنسا	21
ليبيا	80
مصر	13777

وكما هو معلوم لدى الأوساط البحثية الأكاديمية، فإن المستشرق السويسري ماكس فن برشام (Max Van Berchem) كان أول من دعا إلى ضرورة تجميع النصوص النقائشية الإسلامية ضمن مدونة عالمية. وبعد المحاولات الأولى المتزامنة وجهود الباحث السويسري برزت عدة دراسات علمية تحاول الاهتمام أكثر بالنصوص النقائشية الإسلامية. وفي تقييمنا للعمل الذي تم إنشاؤه لأكثر من قرن لاحظنا الثراء النسبي للنقاش وللمدونات النقائشية، ناهيك وأن المراجعات الكبرى الإقليمية والحضرية برزت متزامنة ومشروع فان برشام نفسه. ومن أهم الأعمال ذات الصلة بالنقاش الإسلامية عموما دراسة مارسيل (Marcel J. J.)



والتي تُعنى بالنقائش الكوفية¹. وفي عام 1875 قام الإيطالي أمري (Amari) بتأليف "مدونة صقلية"²، وبعد بضع سنوات نشرت "مدونة القاهرة" (عام 1894)³ وتلت ذلك (في عام 1901) مدونة النقائش العربية والتركية بالجزائر⁴، لتظهر مدونة آسيا الصغرى (عام 1910)⁵، ومجموعة مدينة فاس (عام 1920)⁶، والقدس (بين عامي 1922 و 1943). وفي عام 1931 نشر ليفي بروفونسال (Levis Provençal) مجموعة النقائش العربية في إسبانيا⁷. وبين عامي 1950 و 1958 ظهرت مجموعة تونس⁸، إلى جانب مجموعة الصحاري بالجزيرة العربية والسودان الصحراوية والساحل الشرقي الإفريقي وتركيا. هذا على المستوى الدولي، أما على المستوى الإقليمي فقد ظهرت موفى القرن العشرين مجموعة من الأعمال التي اهتمت بنقائش المدن كمجموعة نقائش حوران، جبل الدروز (عام 1989)، نقائش مقاطعة من الصين (عام 1991) ومجموعات أخرى من إيران (عام 1992) وأرمينيا (عام 1993) وبصرى الشام ... وقد قامت الباحثة سولونج أوري (Solange Ory) بأعمال ميدانية لجرد النقائش بجنوب سوريا واليمن، واهتمت خاصة بتطور الكتابة وزخرفتها. وفي غضون قرن تقريبا تم تدوين المعلومات ذات الصلة بالنقائش عبر المنظومة الإعلامية (informatisation)، وذلك بإدخال النصوص النقائشية عبر برنامج حاسوب يعني بكل ما يتصل بالنقيشة مثلما ما هو الشأن لبرنامج Epimac للباحثة سولونج أوري (Solange Ory) وأصبحت مدونة Thesaurus d'Epigraphie Islamique متاحة على الأنترنت.

¹ Marcel J.J., 1826, « Mémoire sur les inscriptions koufiques », *Apud Description, Etat moderne*, T. XV, Paris, p. 5-22.

² نشرت الدراسة في ثلاثة أجزاء: الأول اهتم بالكتابات المعمارية نشر سنة 1975 والثاني اهتم بشواهد قبور ونشر سنة 1979، أما الجزء الثالث فظهر سنة 1985 ونشر تحت عنوان "كتابات منقولة. انظر Michele, Amari, 1975, *Le epigrafi arabiche di Sicilia, Palermo*.

³ Combe, Et., Souvaget, J. et Wiet, C., 1931, *Répertoire chronologique d'épigraphie arabe*, 13 vol., Le Caire.

⁴ Colin, G., 1901, *Corpus des inscriptions arabes et turques de l'Algérie*, Paris.

⁵ Van Berchem, Max et Edhem Halil, 1910-17, *L'Asie Mineure*, Le Caire, (*Mém. Inst. Fr. Arch. Or.*, t. XXIX).

⁶ Bel, A., 1917-1919, « Inscriptions arabes de Fès », *Journal asiatique*, 11è séries, série IX-XIV. XIV.

⁷ Levi-Provençal, E, 1931, *Inscriptions arabes d'Espagne*, 2 vols., Leiden-Paris.

⁸ Roy, Bernard, Poinot, Paule et Louis, 1950-1958, *Inscriptions arabes de Tunisie*, Tunis.



هذا إجمالا ما قدمته الدراسات والأبحاث في علاقة بالنقائش بكبرى الأقاليم الإسلامية العالمية. وبالنسبة إلى إفريقية فإن أولى الدراسات في علم النقائش كانت مجرد تقارير لبعثات علمية تزامنت مع حضور الاستعمار الأجنبي، حيث يعود أقدمها إلى سنة 11882. واحتوت هذه التقارير على القليل من النقائش، حيث لم يكن الاهتمام بها إلا عرضيا في إطار دراسة المنشآت المعمارية².

وبعد هذه الأعمال الأولى برز جيل من الباحثين حاولوا بدورهم تجاوز النشر التجميعي إلى مرحلة المراجعة الأكاديمية لهذه النقائش وغيرها من المكتشفات النقائشية الهامة، وهو ما سرّع ميلاد العديد من الأبحاث والمنشورات الجديدة، ناهيك وأن الجامعة التونسية عرفت اهتماما كبيرا بهذا الاختصاص حيث برزت عديد البحوث التي تحاول جمع المدونات النقائشية ودراستها دراسة علمية دقيقة³.

¹ انظر: Houdas, Octave et Basset, René, 1882, "Epigraphie tunisienne", *Bulletin de correspondances africaines*, t. 1, fasc. 4, p. 166-200.

² وجب انتظار سنة 1950 تاريخ ظهور أول مدونة في هذا المجال وهي مدونة نقائش القيروان:

Roy, Bernard, et Poinssot, Paule, 1958, *Inscriptions arabes de Kairouan*, Vol. 2, fasc. 1, Paris, C. Klincksieck, 1950 ; Vol. 2, fasc. 2, Paris, C. Klincksieck.

وقد كان الباحث سليمان مصطفى زيس أول الداعين إلى إنشاء مدونة نقائش البلاد التونسية، حيث أنجز مجلدين يهتمان بنقائش مدينة تونس ومجلدا يهتم بالمنستير ثم أضاف مدونة القيروان. انظر:

Zbiss, Slimane-Mostafa, 1955, *Inscriptions de Tunis et de sa Banlieue*, 1ère partie, 1er fasc. du *Corpus des inscriptions arabes de la Tunisie*, Notes et Documents, XIII, t.1, Tunis, Imprimerie S.A.P.I.; id, 1962, *Inscriptions du Gorjâni. Contribution à l'histoire des Almohades et des Hafside*, 1ère partie, 2 e fasc. du *Corpus des inscriptions arabes de la Tunisie*, Tunis, Institut National d'Archéologie et Arts, Imprimerie La Presse; id, 1960, *Inscriptions arabes de Monastir*, 2ème partie du *Corpus des inscriptions arabes de la Tunisie*, Tunis, Imprimerie La Presse; id, 1977, *Nouvelles inscriptions de Kairouan*, 3ème partie du *Corpus des inscriptions arabes de la Tunisie*, Notes et Documents, 3ème série, vol.1, Tunis, Institut National d'Archéologie et d'Art, Imprimerie AL-ASRIA.

³ - EL-Habib, Mustapha, 1972, *Stèles funéraires kairouanaises d'époques fatimide et zîride*, thèse de doctorat, sous la direction de J. SOURDEL-THOMINE, Paris-Sorbonne.

- Maoudoud, Khaled, 1983, *L'art funéraire sous les banu Hūrāsān (454-554 / 1062-1159)*, thèse de doctorat (dir. de J. Sourdel-Thomine), Paris-Sorbonne.

- Aoudi-Adouni, Raja, 1997, *Stèles funéraires tunisoises de l'époque hafside (628-975/1230-1574)*, 2 vols, Tunis, INP.

- Abdeljaouad, Lotfi, 2001, *Inscriptions arabes des monuments islamiques des grandes villes de Tunisie : Monastir, Kairouan, Sfax, Sousse et Tunis (2ème s. / 8ème s. – 10ème / 16ème)*, thèse de doctorat (4 vols) nouveau régime (dir. de S. Ory), Université Aix-Marseille I.



أمام هذا الكم الهائل من الدراسات والمنشورات العالمية وحتى الإقليمية، ظلت الدراسات والأبحاث المتعلقة بالنقائش الإسلامية الليبية محتشمة ومتأخرة نسبياً، فقد باتت النقائش الإسلامية مغمورة إلى أن جاء الباحث الايطالي ايتوري روسي (Ettore Rossi) الذي يعد أول من اهتم بها مباشرة ليدون مرجعا يوثق للنقائش العربية والتركية بليبيا (تحديدا بطرابلس)، في إطار عمل تجميعي صرف¹.

ولكن تجب الإشارة إلى أنه خلال العقدين الأولين من القرن العشرين ظهر عدد متواضع من المنشورات الايطالية أيضا التي توثق لاكتشافات نقائشية جديدة في العاصمة الليبية مثل أعمال الأثري الايطالي سلفاتوري أوريجما (S. Aurigemma) المهتمة بتحسينات المدينة بالأساس. فقد نشر بعض النقائش التخليدية بالأساس، فكان أول من فك شفرة ثلاثة نقوش وترجمتها للايطالية بهدف التعريف بتاريخ أسوار المدينة وبالإضافات العثمانية لها دون الاعتناء بالجانب الفني لتلك النقائش.

وخلال العقدين التاليين من دراسة أوريجما (S. Aurigemma)²، ظلت النقائش الليبية تخصصاً هامشياً إلى حد ما، فظهرت بعض النقائش في بعض الدراسات التاريخية والأثرية واكتفى الباحثون فيها باقتباس النص أو تأريخ النقيشة المتعلقة ببعض المعالم، فكان علينا الانتظار حتى نهاية النصف الأول من القرن العشرين لتُنشر قائمة أولية للنقائش التي جمعت في متحف طرابلس زمن الاحتلال الإيطالي ونعني بذلك دراسة الباحث الايطالي روسي التي أشرنا إليها سلفاً (صورة1).

- Jarray, Fathi, 2007, *Inscriptions des monuments de la régence de Tunis à l'époque ottomane : étude épigraphique et historique*, Thèse de doctorat (dir. Solonge Ory et Mounira Remadi Chapetot), Aix-Marseille I (4 vols).

¹ Rossi, Ettore, 1953, *Le Iscrizioni Arabe E Turche del Museo di Tripoli (Libya)*, Department of Antiquities in Tripolitania, No. 3.

² Aurigemma, Salvatore, 1918, « Le fortificazioni della città di Tripoli », *Notiziario archeologico*, anno II, fasc I-II, Roma, p. 217-300.

صورة 01:

غلاف كتاب روسي حول النقائش بليبيا. ويمثل هذا الكتاب أول عمل فريد من نوعه يوثق لمجموعة من النقائش الإسلامية الليبية (1953).



وفي النصف الثاني من القرن العشرين بدأ يظهر شيئا فشيئا الاهتمام بالنقائش الإسلامية للقطر الليبي. ففي سنة 1982 برزت المحاولة المحتشمة لباسي (R. Basset) وهوداس (O. Houdas)¹، اللذين ذكرا بصفة عرضية نقيشة جنائزية من المقبرة القرمانيّة بسيدي الشعاب وذلك في زيارة خاطفة قاما بها للعاصمة طرابلس². وبهذا كان النصف الثاني من القرن العشرين مثمراً من جانب الإصدارات العلمية، فقد نشرت العديد من الدراسات التاريخية والأثرية، في حين كان حضور النقائش في علاقة بالجانب التاريخي والزخرفي محدوداً إذ غالباً ما تعلق حضورها ودراستها بتاريخ الفن عموماً. وقد نُشرت مصلحة الآثار بطرابلس مجموعة من الدراسات في شكل تقارير دورية عن وضعيّة بعض النقائش المعمارية. وفي سنة 1995 ظهرت دراسة

¹ وهي بمثابة أقدم دراسة اهتمت بالنقائش التونسية بالأساس والتي تعود إلى سنة 1882. وقد كانت بعثة أو مهمة نقائشية في تونس (Mission épigraphique en Tunisie) اتخذت شكل الرحلة التي شملت بعض المدن بالبلاد التونسية انطلاقاً من تونس وصولاً إلى جزيرة جربة ومرورا بعدة مدن مثل القيروان وهرقل وسوسة والمهدية وقابس. وقد جُمعت فيها العديد من النقائش بمختلف أصنافها دون الالتزام بمنهج واضح أو صنف معين من النقائش. ولكن الباحثين ذكرا نقيشة جنائزية بطرابلس مما يعني أنهما قاما بزيارة خاطفة إلى القطر الليبي.

² Houdas, Octave et Basset, René, 1982, « Epigraphie tunisienne », BCA, n° IV, Alger, p. 39-40.



نقائش لسعيد أبو حامد جمع فيها ثلاث نقائش معمارية تخليدية لمسجد وثكنة عثمانية ونافورة. وقدم الباحث عمله بشكل منهجي حيث بين مساهمتها في تاريخ المعالم التي تعود إليها النقائش¹.

وعموما كانت أغلب الدراسات الأثرية الإسلامية في ليبيا تذكر عرضا النقائش، وخاصة التخليدية منها، وتهتم بتاريخ المعالم وحتى تاريخ انتهاء الأشغال منها، باستثناء دراسة ايتوري روسي والتي تُقدّم جردا للنقائش المجمعة من هنا وهناك فحسب دون التطرق إلى النقائش المعمارية والجنائزية التي ظلت مثبّته بمعالمها الأصلية (المساجد، الأسبلة، المدارس، الفنادق وخاصة المقابر...). وعلى الصعيد الأكاديمي، استهلت الباحثة إيناس بوطانة مبحث النقائش الإسلامية الليبية مهتمة بأساليب الكتابة الكوفية الموجودة في مجموعة من الشواهد القبرية للفترة الإسلامية (بين القرنين 2 و 6 هـ / 8-12 م) في ليبيا عموما²، تلتها دراسة انتقائية بالأساس للباحثة المصرية سهام عبد الله جاد والتي اهتمت بشواهد قبور العهد العثماني الأول والفترة القرمانلية وتحديدًا بمدينة طرابلس³، وأبرزت أهمية النقائش الجنائزية بطرابلس مع مقارنة بمجموعة من النقائش الجنائزية ببعض البلدان الإسلامية الأخرى التي اشتركت معها في نفس الفترة الزمنية تقريبا. وقد حاولت الباحثة في عملها تتبع الأنساب من تسلسل الأسماء الواردة على مجموعة شواهد الدراسة واستقراء الصيغ والمضامين الواردة في النقائش من آيات قرآنية وأدعية مقتبسة من القرآن وغير ذلك من أسماء وألقاب ...

وبالنسبة إلى الإقليم الغربي من القطر الليبي فقد ظلت دراسة الباحث محمد سالم الورفلي (أطروحة دكتوراه) المنجز الوحيد الذي كرس من خلاله فصلا يعني بـ "الكتابات الأثرية" لبعض العمائر الدينية بجبل نفوسة (ثلاثة مساجد)⁴. فرغم قلة عدد النقائش المعمارية المحصاة بهذا الإقليم فإنها قد مثلت جانبا مهما في إلقاء الضوء على أبعاده التاريخية والفنية.

¹ أبو حامد، سعيد، 1995، "نقوش كتابية في طرابلس من العهد العثماني"، ليبيا القديمة، عدد 1، طرابلس، ص 35-44..
² محمد علي بوطانة، إيناس، 2003، الخط الكوفي على شواهد القبور في ليبيا بين القرنين 2 و 6 هـ / 8-12 م، رسالة ماجستير، إشراف سعدي الدراجي، جامعة قارونس.
³ عبد الله جاد، سهام، 2010، النقوش الشاهدية في طرابلس الغرب إبان العصر العثماني الأول والعصر القرمانلي (958-1251 هـ / 1551-1835 م)، "دراسة أثرية فنية"، أطروحة دكتوراه، إشراف محمد حمزة إسماعيل الحداد، كلية الآثار، جامعة القاهرة.
⁴ المقيد الورفلي، محمد سالم، 2007، بعض الآثار الإسلامية بجبل نفوسة في ليبيا، منشورات مصلحة الآثار، ليبيا.



وبالتوازي مع هاته الدراسات الثلاث الأخيرة بدأ عملنا التجميعي لدراسة أكاديمية أشمل تُعنى بدراسة النقائش الإسلامية العثمانية لمدينة طرابلس (1551-1911). وقد رأى هذا العمل النور سنة 2014، ليكون بمثابة محصلة لعمل ميداني خصّ مدينة طرابلس ومعالمها المدنية والجنازية للحقبة العثمانية (1551-1911).¹

وانطلاقا من هذه القراءة في الأعمال والدراسات ذات العلاقة المباشرة بمبحث النقائش الإسلامية ومنها الليبية، نلاحظ جليّا، ورغم الاهتمام المبكر بدراسة النقائش بكبرى الأقاليم الإسلامية، أن النقائش الإسلامية الليبية لم تنل حظها من الدراسات إذ كان أولها في القرن العشرين بأقلام أجنبية بالأساس عن طريق مجموعة من الباحثين الايطاليين، تلتها في نهاية القرن ذاته محاولات ليبية أولى محتشمة. ولكن وفي مستهل القرن الراهن بدأت المحاولات الأكاديمية التجميعية تطفو على السطح، فظهرت مجموعة من الدراسات في علاقة بالنقائش الليبية لمختلف الفترات الإسلامية. ويبقى السؤال المطروح هنا ما هي المحصلة النقائشية الليبية انطلاقا من هذه الأعمال؟

2.. محصلة النقائش الإسلامية الليبية من خلال الدراسات والأعمال الميدانية :

لئن ظلت البحوث الجزئية التي ظهرت في القرن العشرين مهمة في تكريس الوعي بهذا الموروث الأثري وبضرورة المحافظة عليه وتوثيقه، فإن تلك الأعمال مثلت رغم محدوديتها النواة الأولى لنشأة هذا التخصص بالقطر الليبي حتى بلغ مرحلة النضج، وذلك بإنجاز دراسات متخصصة واعتماد المناهج الأكاديمية الحديثة في عمليات الجرد والإحصاء والدراسة. ومن هذا المنطلق ظهر جليّا مدى ثراء هذا القطر بالنقائش الإسلامية، وتجلى ذلك في الأعداد المهمة نسبيا التي حفلت بها تلك الدراسات رغم قلتها.

وبهذا لم تشذ المعالم الليبية عموما (مدنية، عسكرية، اقتصادية، مائية، صحية، جنائزية...) عن التقاليد المعمارية الإسلامية التي حرص من خلالها المسلمون على تدوين منجزاتهم الحضارية وتخليدها، وذلك من خلال

¹ Ben Sassi, Ali Cheib, 2014, *Les inscriptions de Tripoli d'Occident à l'époque ottomane (1551-1911) : étude épigraphique et historique*, Thèse de doctorat (dir. A. Saadaoui et F. Imbert), Aix-Marseille Université, 3 vols.



التأريخ بواسطة النقائش. فانساق "طرابلس الغرب"¹ منذ العهود الإسلامية الأولى مع التطور السريع والتميز الذي عرفه الخط العربي إلى حدود مجيء العثمانيين لشمال إفريقيا مطلع القرن السادس عشر².

وقبل الدخول في إعطاء تفاصيل للمحصلة النقائشية، نود الإشارة إلى أن العدد المعلن بالجدول الأول المذكور سلفا (نماذج من بعض الدول وعدد النقائش المدرجة بمدونة النقائش الإسلامية (*Thesaurus d'Epigraphie Islamique*) والخاص بالنقائش الإسلامية الليبية المنشورة بالمدونة، لا يعكس العدد الحقيقي على أرض الواقع وهو ما أكدته مجمل الدراسات الميدانية خاصة الحديثة منها، ولكن يظل الباب مفتوحا لإدخال معطيات النقائش بالمدونة المتاحة على الانترنت.

بالنسبة إلى النقائش الإسلامية المبكرة كان الباحث الايطالي إيتوري روسي أول المهتمين بها، وذلك في إطار محاولته جرد مجمل النقائش الإسلامية الليبية التي تم جمعها في متحف طرابلس والمتأتية أغلبها من مواقع مختلفة من مدينة طرابلس. وعدديا فقد أورد ثمانية وتسعين نصا نقائشيا، مرفقا بتراجم لبعضها (ترجمة للايطالية) وجملة من الملاحق خصصها لمجموعة من الصور، تسمح قرابة الثلاثة قرون: الفترة الممتدة من منتصف القرن الثالث (248 هـ / 862 م، نقيشة رقم 1 بكتاب الباحث) إلى القرن السادس هجري الموافقة للقرن التاسع والقرن الثاني عشر ميلادي (نقيشة رقم 98 بكتاب الباحث). وقد طغت النقائش الجنائزية على منجز الباحث باستثناء واحدة متأتية من ساكف باب مسجد غير معروف³. وأغلب الشواهد القبرية التي قدمها هذا الباحث كانت متأتية من مواضيع مختلفة من مدينة طرابلس، عثر عليها عرضا أو أثناء حفريات قامت بها بعثات ايطالية ركزت اهتمامها على المعالم الرومانية القديمة، خاصة قوس النصر ماركوس أوريليوس، حيث عثر على العديد من الأضرحة والشواهد القبرية التي تعود إلى العهود الإسلامية الأولى (صورة 2، رسم 1).

¹ سميت بطرابلس الغرب للتمييز بينها وبين طرابلس الشرق (لبنان حاليا).

² أصبحت طرابلس خاضعة للحكم العثماني منذ منتصف القرن السادس عشر وتحديدا سنة 1551. في هذا الإطار أنظر:

سامح، عزيز، 1989، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر. محمود علي عامر، بيروت.

³ انظر Rossi, 1953، نقيشة رقم 61، ص 46.

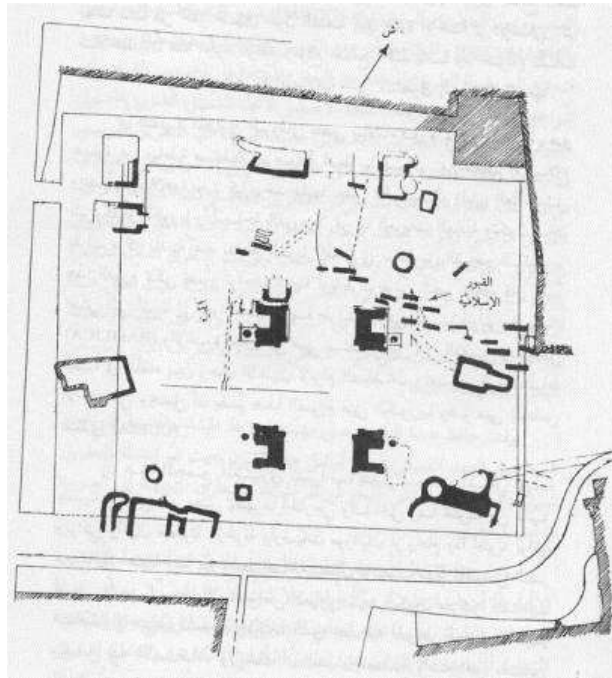
صورة 02:

نموذج من القبور الإسلامية التي عثر عليها حول قوس ماركوس أوريليوس رسم 1 : موضع القبور الإسلامية المكتشفة حول قوس ماركوس أوريليوس الروماني *Aurigemma, L'arco Quadrifronte, Tav. V*



رسم 01:

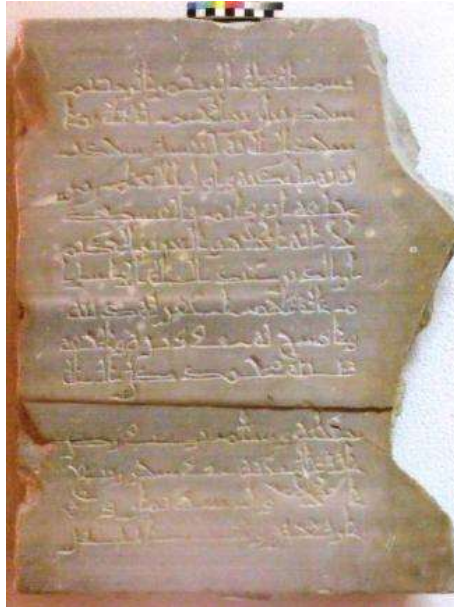
موضع القبور الإسلامية المكتشفة حول قوس ماركوس أوريليوس الروماني (*Aurigemma, L'arco Quadrifronte, Tav. IV*).



وقد كان ايتوري روسي مهتما بأدق التفاصيل والمعطيات المتعلقة بالنقيشة ونصها إلى حد أنه قام بجمع نصوص القطع المتناثرة لبعض بقايا النقائش وقراءتها، حيث نجده يورد في بعض الأحيان نصوصا تحتوي على سطر واحد لا يتجاوز الثلاث كلمات¹. ومن ضمن المعطيات الهامة التي قدمها الباحث إشارات حول تاريخ وشكل النقيشة وأبعادها وتاريخ ومكان العثور عليها. وفي صورة غياب تاريخ النقيشة حاول روسي بدوره تأريخ النقيشة من خلال أسلوب ونمط الكتابة وزخرفتها². هذا على مستوى الشكل، أما على مستوى مضمون النص النقائشي فلم يكن الباحث موعلا في التفاصيل والأبعاد التاريخية، بل اكتفى بالإشارة فقط إلى أهم الصيغ الموجودة فيه، كالصيغ القرآنية مع بعض التعليقات بالهوامش.

صورة 03:

شاهد قبر (40*62 سم) بالكتابة الكوفية الغائرة ومؤرخ في شهر ربيع الأول من سنة ثمان وأربعين ومائتين (ماي-جوان 862م). قد عثر عليه بطرابلس في 20 أوت 1915، حيث كان من أول اهتمامات الباحث ايتوري روسي في دراسته حول النقائش تحت رقم 1 بالصفحات 21 و7. ولا يزال الشاهد معروضا بمتحف السرايا الحمراء بطرابلس (صورة الباحث جويلية 2008).



¹ انظر Rossi, 1953، بالصفحات 27، 30، 32، 34، 37، 38، 43، 53، 54 و56.

² لقد غلب على مجمل النصوص النقائشية للفترة الإسلامية المبكرة التي وردت بدراسة روسي النمط الكوفي.

صورة 04:

شاهد قبر (25*47 صم) لأبي يزيد خلفون بن عيسى بالكتابة الكوفية الغائرة ومؤرخ في آخر ذي الحجة من سنة تسع وثلاث مائة (أفريل 922 م). عثر عليه بطرابلس في 8 أفريل 1912. وقد ورد الشاهد ضمن دراسة ايتوري روسي حول النقائش تحت رقم 3 بالصفحات 23 و79، ولا يزال الشاهد معروضا بمتحف السرايا الحمراء بطرابلس (صورة الباحث جويلية 2008).



صورة رقم 05:

شاهد قبر لأحمد بن عيلو ابن عمر بن عوف، وهو على شكل سيف (183 * 22 صم / ارتفاع 29 صم) كتب بالخط الكوفي المورق البارز على سطرين من كلا الجانبين. قد ورد الشاهد، المؤرخ في 20 شعبان 509 هـ (8 جانفي 1116 م)، ضمن دراسة ايتوري روسي حول النقائش تحت رقم 47 بالصفحات 40 و85، ولا يزال معروضا بمتحف السرايا الحمراء بطرابلس (صورة الباحث جويلية 2008).





بعد خمسة عشر سنة من نشأة دراسة الباحث الايطالي روسي، قام الباحث سليمان بالحاج بنشر مقال اهتم فيه بدراسة مجموعة صغيرة من شواهد القبور من برقة والتي تعود بدورها إلى العصر الإسلامي المبكر¹. وقد كتبت هذه الشواهد بالخط الكوفي ولا تزال محفوظة بمتحف شحات. وضمن هذا العمل قدم لنا الكاتب أقدم نص نقائشي بالقطر الليبي والذي يعود إلى سنة 87 هـ الموافق لسنة 706 م².

وعلى قدر الأهمية التي قدمتها دراستا الباحثين السالفي الذكر، لما تمثلانه من نواة تجميعية أولى للنقائش الإسلامية الليبية للفترة المبكرة، فإنهما لم تخرجا عن دائرة البعد التجميعي دون التطرق إلى محتوى النصوص. ورغم ذلك فقد كانت الدراستان منطلقا للباحثين فيما بعد رغم قلة عددهم. ففي مطلع هذا القرن أنشئت دراسة أكاديمية مرجعية في دراسة الخط الكوفي انطلاقا من النقائش الجنائزية الليبية للفترة الإسلامية (2-6 هـ / 12-8 م) التي قامت بجردها الباحثة إيناس بوطانة³. وقد حددت الباحثة دراستها زمنيا انطلاقا من بعض أمثلة شواهد قبرية خلصت إليها من مختلف المجال الليبي. وبذلك فقد أثبتت الباحثة بشكل أو بآخر أن النقائش الإسلامية كانت حاضرة (قرن 2 هـ / 8 م) قبل التاريخ الذي قدمه الباحث الايطالي روسي، حيث يعود أول شاهد جنائزي قام بذكره إلى القرن الثالث (تحديدا سنة 248 هـ / 9 م). وإجمالا قدمت الباحثة سبع وعشرين نقيشة⁴ يحملها ينتمي إلى شواهد قبور محفوظة بمجموعة من المتاحف الليبية: متحف السرايا الحمراء والمتحف الإسلامي بطرابلس ومتحف طلمية ومتحف البيضاء ومتحف شحات. ويعود أقدم هذه الشواهد إلى القرن الثاني للهجرة وتحديدا إلى سنة 154 هـ / 770 م لصاحبه علي أفريد بن سليمان، عثر عليه بمنطقة مرسى لك⁵. وضمن عملها ركزت الكاتبة بالأساس على دراسة تطور الخط الكوفي بالشواهد القبرية.

وبالنسبة إلى عمل الباحث الورفلي المشار إليه آنفا فإنه قدم مجموعة من النصوص النقائشية التي تنتمي إلى مسجد شروس (قرن 3 هـ / 9 م)⁶ ومسجد أبيان (قرن 3 هـ / 9 م)¹ ومسجد تنومايت (رمضان 454

¹ بالحاج، سليمان، 1968، "شواهد قبور إسلامية من برقة"، ليبيا القديمة، المجلد الخامس، ص ص 7-24.

² شاهد قبر من الحجر الرملي مستطيل الشكل اكتشف قرب منطقة افقنطة ومكتوب بالخط الكوفي البسيط ومحفوظ حاليا بمتحف شحات. انظر بالحاج، 1968، ص 8.

³ بوطانة، 2003.

⁴ ملاحظة: تحديدا أضافت الباحثة 18 نقيشة، في حين وردت البقية (9 شواهد قبور) بدراسة الباحث الايطالي ايتوري روسي.

⁵ شرقي مدينة طبرق بحوالي 100 كم.

⁶ الورفلي، 2007، ص ص 115-127.



هـ /سبتمبر 1062 م². وتظل نقيشة هذا المعلم الأخير الوحيدة المؤرخة بدقة من جملة ثلاث عشرة نقيشة قام بجردها الباحث، في حين اعتمد في تأريخ بقية النقائش على أسلوب الكتابة وزخرفتها. وقد تضمنت هذه النقائش نصوصا دينية ظفي عليها الخط الكوفي البسيط.

وضمن مجمل هذه الدراسات التي أشرنا إليها، والتي عنتت بالنقائش الإسلامية المبكرة، وضحت لدينا الرؤية حول أهم النقائش اللببية الأولى والتي يمكن تلخيصها في الجدول التالي مرفقة بتواريخها ومصادرها:

جدول 01:

أهم النقائش للفترة الإسلامية المبكرة.

النقيشة	التاريخ	المصدر
نقيشة بكنيسة برأس الحلال (الجيل الأخضر)	104 هـ / 722 م	بالحاج، 1968، ص 16 و 17
شاهد قبر مجهول	105 هـ / 723 م	بالحاج، 1968، ص 8
شاهد قبر لعللي أفريد بن سليمان	159 هـ / 775 م	بالحاج، 1968، ص 10/بوظانة، 2003، ص 27.
شاهد قبر لسالم بن علي	ق 2 هـ / 8 م	بالحاج، 1968، ص 10/ بوظانة، 2003، ص 29.
شاهد قبر لعائشة بنت علي	ق 2 هـ / 8 م	بالحاج، 1968، ص 11/ بوظانة، 2003، ص 30.
شاهد قبر عبد الله بن عبد السلام	ق 2 هـ / 8 م	بالحاج، 1968، ص 14
شاهد قبر مجهول	205 هـ / 820 م	بوظانة، 2003، ص 33.
شاهد قبر مجهول	239 هـ / 853 م	بالحاج، 1968، ص 12/بوظانة، 2003، ص 36.
شاهد قبر بيان بن الهيثم	248 هـ / 862 م	Rossi, 1953, p 21.
شاهد قبر محمد بن نادر	254 هـ / 868 م	بالحاج، 1968، ص 9
شاهد قبر مجهول	254 هـ / 868 م	بوظانة، 2003، ص 39.
10 نصوص دينية بمسجد شروس (جيل نفوسة)	ق 3 / 9 م	الورفلي، 2007، ص 115-127.
2 نصوص دينية بمسجد أبيان (جيل نفوسة)	ق 3 / 9 م	الورفلي، 2007، ص 128.
شاهد قبر المخرومي القرشي	ق 3 / 9 م	بالحاج، 1968، ص 14
شاهد قبر حلسا بنت محمد	ق 3 / 9 م	بالحاج، 1968، ص 15
شاهد قبر مجهول	ق 3 / 9 م	Rossi, 1953, p. 22

¹ الورفلي، 2007، ص 128.

² الورفلي، 2007، ص 129.



Rossi, 1953, p. 22	ق 9 / 3 م	شاهد قبر مجهول
بوظانة، 2003، ص 41.	ق 9 / 3 م	شاهد قبر مجهول
بوظانة، 2003، ص 43.	ق 9 / 3 م	شاهد قبر مجهول
Rossi, 1953, p. 23.	309 هـ / 920 م	شاهد قبر أبي يزيد خلقون بن عيسى
بوظانة، 2003، ص 47.	317 هـ / 927 م	شاهد قبر حمدان بن الفضل العمري
Rossi, 1953, 23.	326 هـ / 937 م	شاهد قبر أبي عبد الرحمن فلاح بن حمدون
Rossi, 1953, 24.	328 هـ / 940 م	شاهد قبر عائشة بنت عبد الرحمن
Rossi, 1953, 24.	329 هـ / 940 م	شاهد قبر نصر بن موسى
بوظانة، 2003، ص 52.	332 هـ / 943 م	شاهد قبر عزيزة بنت أبو السحيم
بوظانة، 2003، ص 54.	334 هـ / 945 م	شاهد قبر أم عيسى ابنة عيسى
بالحاج، 1968، ص 12/بوظانة، 2003، ص 56.	335 هـ / 946 م	شاهد قبر عبد العلي بن احمد
Rossi, 1953, p. 25.	344 هـ / 955 م	شاهد قبر إبراهيم بن إسماعيل بن أبي زكري
بوظانة، 2003، ص 59.	359 هـ / 959 م	شاهد قبر طاهر بن علي
بوظانة، 2003، ص 61.	374 هـ / 989 م	شاهد قبر سليم الرعاي
Rossi, 1953, p. 25.	375 هـ / 985 م	شاهد قبر ميلاد بن حمود بن أيوب
Rossi, 1953, p. 26.	377 هـ / 987 م	شاهد قبر سعدة أم ولده
بالحاج، 1968، ص 13	379 هـ / 989 م	شاهد قبر شامل الرعاي
بالحاج، 1968، ص 16	ق 3 أو 4 / 9-10 م	شاهد قبر مجهول
بالحاج، 1968، ص 16	ق 3 أو 4 / 9-10 م	شاهد قبر مجهول
Rossi, 1953, p. 26.	ق 4 هـ / ق 10 م	شاهد قبر امانة ابنة أحمد القوي
بوظانة، 2003، ص 64.	ق 4 هـ / ق 10 م	شاهد قبر مجهول
Rossi, 1953, p. 27.	ق 4 هـ / ق 10 م	شاهد قبر مجهول
Rossi, 1953, p. 27.	ق 4 هـ / ق 10 م	قطعة من نقيشة (بسملة)
Rossi, 1953, p. 28.	ق 4 هـ / ق 10 م	شاهد قبر مجهول
بوظانة، 2003، ص 66.	ق 4 هـ / ق 10 م	شاهد قبر مجهول
Rossi, 1953, p. 28.	ق 4 هـ / ق 10 م	شاهد قبر مجهول
Rossi, 1953, p. 29.	ق 4 هـ / ق 10 م	شاهد قبر مجهول
Rossi, 1953, p. 29.	ق 4 هـ / ق 10 م	شاهد قبر مجهول
Rossi, 1953, p. 30.	ق 4 هـ / ق 10 م	شاهد قبر مجهول
Rossi, 1953, p. 30.	430 هـ / 1038 م	شاهد قبر مجهول
Rossi, 1953, p. 30.	441 هـ / 1050 م	شاهد قبر مجهول
بوظانة، 2003، ص 67.	ق 4 أو 5 هـ / ق 10-11 م	شاهد قبر أحمد بن أبي حسن
الورفلي، 2007، ص 129.	رمضان 454 هـ / سبتمبر 1062	نص تخليدي بمسجد تنومايت (جبل نفوسة)
بالحاج، 1968، ص 15	ق 5 / 11 م	شاهد قبر كاهن بن علوان



Rossi, 1953, p. 31.	ق 5 هـ / ق 11 م	نقشة جنازية
Rossi, 1953, p. 31.	ق 5 هـ / ق 11 م	نقشة تغليدية
Rossi, 1953, p. 31.	ق 5 هـ / ق 11 م	نقشة جنازية
Rossi, 1953, p. 32.	ق 5 هـ / ق 11 م	نقشة جنازية
Rossi, 1953, p. 32.	ق 5 هـ / ق 11 م	نقشة تغليدية
Rossi, 1953, p. 32.	ق 5 هـ / ق 11 م	نقشة جنازية
Rossi, 1953, p. 33.	ق 5 هـ / ق 11 م	قطعة من نقشة جنازية
Rossi, 1953, p. 33.	ق 5 هـ / ق 11 م	قطعة من نقشة جنازية
Rossi, 1953, p. 33.	ق 5 هـ / ق 11 م	قطعة من نقشة جنازية
Rossi, 1953, p. 33.	ق 5 هـ / ق 11 م	قطعة من نقشة تغليدية
Rossi, 1953, p. 34.	ق 5 هـ / ق 11 م	نقشة تغليدية
Rossi, 1953, p. 34.	ق 5 هـ / ق 11 م	نقشة تغليدية
Rossi, 1953, p. 34.	ق 5 هـ / ق 11 م	قطعة من نقشة جنازية
Rossi, 1953, p. 34.	ق 5 هـ / ق 11 م	جزء من نقشة جنازية
Rossi, 1953, p. 35.	ق 5 هـ / ق 11 م	جزء من نقشة جنازية
Rossi, 1953, p. 35.	ق 5 هـ / ق 11 م	جزء من نقشة جنازية
Rossi, 1953, p. 36.	ق 5 هـ / ق 11 م	نقشة جنازية
Rossi, 1953, p. 36.	ق 5 هـ / ق 11 م	نقشة جنازية
Rossi, 1953, p. 36.	ق 5 هـ / ق 11 م	جزء من نقشة تغليدية
Rossi, 1953, p. 37.	ق 5 هـ / ق 11 م	قطعة من نقشة تغليدية
Rossi, 1953, p. 37.	ق 5 هـ / ق 11 م	نقشة جنازية
Rossi, 1953, p. 37.	ق 5 هـ / ق 11 م	نقشة جنازية
Rossi, 1953, p. 38.	ق 5 هـ / ق 11 م	قطعة من نقشة جنازية
Rossi, 1953, p. 38.	ق 5 هـ / ق 11 م	قطعة من نقشة جنازية
Rossi, 1953, p. 38.	ق 5 هـ / ق 11 م	قطعة من نقشة جنازية
Rossi, 1953, p. 38.	ق 5 هـ / ق 11 م	قطعة من نقشة جنازية
Rossi, 1953, p. 39.	508 هـ / 1116 م	شاهد قبر يزيد بن عبد الله
Rossi, 1953, p. 40.	509 هـ / 1116 م	شاهد قبر أحمد عيلو بن عمر بن عوف
Rossi, 1953, p. 40.	516 هـ / 1122 م	شاهد قبر الفقيه أبو القاسم عبد الرحمن
Rossi, 1953, p. 41.	529 هـ / 1135 م	شاهد قبر عبد الرحمن
Rossi, 1953, p. 41.	530 هـ / 1136 م	شاهد المعمر أبي الدنيا
Rossi, 1953, p. 42.	533 هـ / 1139 م	شاهد فاطمة
Rossi, 1953, p. 42.	534 هـ / 1140 م	شاهد قبر الشيخ أبي سعد بن أبي الطيب عبد المنعم بن الحسن بن أبي سعد التميمي
Rossi, 1953, p. 43.	534 هـ / 1140 م	قطعة من نقشة معمارية
بوطنان، 2003، ص 74.	540 هـ / 1147 م	شاهد قبر مجهول



Rossi, 1953, p. 43.	543 هـ / 1150 م	شاهد قبر ابي عبد الله محمد بن عمران الفضل
Rossi, 1953, p. 44	547 هـ / 1152 م	شاهد قبر محمد عبد الله بن عبد العزيز السبيعي
Rossi, 1953, p. 44	562 هـ / 1167 م	شاهد قبر الفقيه أبي القاسم عبد الرحمن
Rossi, 1953, p. 45	582 هـ / 1186 م	شاهد قبر مجهول
Rossi, 1953, p. 45	ق 6 هـ / ق 12 م	جزء من نقيشة معمارية
Rossi, 1953, p. 45	ق 6 هـ / ق 12 م	جزء من نقيشة معمارية
Rossi, 1953, p. 46	ق 6 هـ / ق 12 م	جزء من نقيشة جنازية
Rossi, 1953, p. 46	ق 6 هـ / ق 12 م	جزء من نقيشة معمارية
Rossi, 1953, p. 46	ق 6 هـ / ق 12 م	نقيشة جنازية
Rossi, 1953, p. 47	ق 6 هـ / ق 12 م	جزء من نقيشة معمارية
Rossi, 1953, p. 47	ق 6 هـ / ق 12 م	جزء من نقيشة جنازية
Rossi, 1953, p. 48	ق 6 هـ / ق 12 م	نقيشة جنازية
Rossi, 1953, p. 48	ق 6 هـ / ق 12 م	جزء من نقيشة جنازية
Rossi, 1953, p. 49	ق 6 هـ / ق 12 م	جزء من نقيشة جنازية
Rossi, 1953, p. 49	ق 6 هـ / ق 12 م	جزء من نقيشة جنازية
Rossi, 1953, p. 49	ق 6 هـ / ق 12 م	جزء من نقيشة جنازية
Rossi, 1953, p. 50	ق 6 هـ / ق 12 م	جزء من نقيشة جنازية
Rossi, 1953, p. 50	ق 6 هـ / ق 12 م	جزء من نقيشة جنازية
Rossi, 1953, p. 50	ق 6 هـ / ق 12 م	جزء من نقيشة جنازية
Rossi, 1953, p. 51	ق 6 هـ / ق 12 م	جزء من نقيشة جنازية
Rossi, 1953, p. 51	ق 6 هـ / ق 12 م	جزء من نقيشة جنازية
Rossi, 1953, p. 51	ق 6 هـ / ق 12 م	جزء من نقيشة جنازية
Rossi, 1953, p. 52	ق 6 هـ / ق 12 م	جزء من نقيشة معمارية
Rossi, 1953, p. 52	ق 6 هـ / ق 12 م	جزء من نقيشة جنازية
Rossi, 1953, p. 52	ق 6 هـ / ق 12 م	جزء من نقيشة جنازية
Rossi, 1953, p. 52	ق 6 هـ / ق 12 م	جزء من نقيشة
Rossi, 1953, p. 53	ق 6 هـ / ق 12 م	جزء من نقيشة جنازية
Rossi, 1953, p. 53	ق 6 هـ / ق 12 م	جزء من نقيشة جنازية
Rossi, 1953, p. 53	ق 6 هـ / ق 12 م	جزء من نقيشة
Rossi, 1953, p. 54	ق 6 هـ / ق 12 م	جزء من نقيشة جنازية
Rossi, 1953, p. 54	ق 6 هـ / ق 12 م	جزء من نقيشة جنازية
Rossi, 1953, p. 54	ق 6 هـ / ق 12 م	جزء من نقيشة جنازية
Rossi, 1953, p. 55	ق 6 هـ / ق 12 م	جزء من نقيشة جنازية
Rossi, 1953, p. 55	ق 6 هـ / ق 12 م	جزء من نقيشة جنازية
Rossi, 1953, p. 55	ق 6 هـ / ق 12 م	جزء من نقيشة جنازية
Rossi, 1953, p. 55	ق 6 هـ / ق 12 م	جزء من نقيشة جنازية
Rossi, 1953, p. 56	ق 6 هـ / ق 12 م	جزء من نقيشة جنازية



Rossi, 1953, p. 56	ق 6 هـ / ق 12 م	جزء من نقيشة
Rossi, 1953, p. 56	ق 6 هـ / ق 12 م	جزء من نقيشة
Rossi, 1953, p. 56	ق 6 هـ / ق 12 م	جزء من نقيشة
Rossi, 1953, p. 57	ق 6 هـ / ق 12 م	جزء من نقيشة
Rossi, 1953, p. 57	ق 6 هـ / ق 12 م	جزء من نقيشة جنازية
Rossi, 1953, p. 57	ق 6 هـ / ق 12 م	جزء من نقيشة جنازية
Rossi, 1953, p. 57	ق 6 هـ / ق 12 م	جزء من نقيشة جنازية
Rossi, 1953, p. 58	ق 6 هـ / ق 12 م	جزء من نقيشة جنازية
Rossi, 1953, p. 58	ق 6 هـ / ق 12 م	جزء من نقيشة جنازية
Rossi, 1953, p. 58	ق 6 هـ / ق 12 م	جزء من نقيشة (عمود)

عموما هذه مجموعة النقائش التي استطعنا جردها والتي وردت ضمن دراسات متفرقة اهتمت بالنقائش الإسلامية للفترة المبكرة. وبالنسبة إلى النقائش الإسلامية للفترة العثمانية (منتصف ق 16 بداية ق 20)، ورغم كثرة عددها بالمقارنة مع نظيراتها للفترة الوسيطة، فلم يكن الاهتمام بها كبيرا بل كان أساسا في السنوات الأخيرة رغم صدور بعض الدراسات القليلة التي اهتمت ببعض النقائش المعمارية بالأساس. وهاته الدراسات الأولى كانت أيضا بأفلام غربية: فالدراسة الأولى كانت لسلفاتوري أوريجما (S. Aurigemma) ¹ المهمة بتحسينات المدينة خاصة، حيث نشر بعض النقائش التخليدية بالأساس، فكان أول من فك شفرة ثلاثة نقوش وترجمتها للايطالية بهدف التعريف بتاريخ أسوار المدينة والإضافات العثمانية دون الاعتناء بالجانب الفني لتلك النقائش. أما المجموعة الثانية من النقائش الإسلامية للفترة العثمانية فأدرجت بدراسة ايتوري روسي (Ettore Rossi) ² الذي قام بجد ست عشرة نقيشة. وقد أشار الباحثان الفرنسيان أوداس (O. Houdas) وباسي (R. Basset) بشكل عرضي إلى نقيشة جنازية (1982)، بمقبرة القرماني بسيدى الشعاب بمدينة طرابلس. وبالنسبة إلى الدراسات المحلية الليبية فقد كان أولها في موفى القرن العشرين وتحديا في عام 1995، حيث ظهرت دراسة لمحمد أبو حمد جمع فيها ثلاث نقائش معمارية (من مسجد وثكنة عثمانية ونافورة عامة). وقد قدم الباحث دراسته في شكل منهجي، ودرس مساهمة تلك النقائش في تاريخ الآثار المدروسة.

¹ Aurigemma, 1918, p. 217-300.

² Rossi, 1953 .



وفي مطلع القرن الحالي بدأ نسق الدراسات الأكاديمية يتطور، فقد ظهرت الرغبة في الاعتناء أكثر بالموثوث النقائشي العثماني. فبالتوازي مع دراستنا، والتي سنقدمها لاحقاً، انكبت الباحثة المصرية سهام عبد الله¹ على دراسة نقائش شواهد القبور للفترة العثمانية الأولى والفترة القرمانلية (1551-1835)². وتعتبر هذه الدراسة بمثابة الخطوة الأولى في دراسة النقائش الجنائزية تحديداً بشكل دقيق وذلك بالتطرق إلى شكل (مادة وطرق الصناعة) النقيشة ومحتواها (تتبع الأنساب وتسلسل الأسماء، دراسة الصيغ والمضامين، أنواع الخطوط، الزخارف...). ورغم أهمية هذا المنجز فإن الباحثة لم توثق عدد شواهد القبور الذي اشتغلت عليه. وبذلك سنعمد على العدد الذي قمنا بجمده ضمن دراستنا التي قدمناها سنة 2014.

وفي هذا الإطار، وتماشياً والدراسات النقائشية الحديثة، قمنا بمحاولة تأييث "مدونة نقائشية" تجمع بين النصوص التخليدية والنصوص الجنائزية الإسلامية لمدينة طرابلس الغرب، والتي تعود بدورها إلى الفترة العثمانية (1551-1911)³. وبذلك حاولنا القيام بدراسة شاملة تعمل على جمع النصوص النقائشية المتناثرة هنا وهناك والتي كانت بدورها مهددة بالاندثار، سيما وأن قسماً كبيراً من شواهد أضرحة مقابر المدينة قد أتلّف أثناء الأحداث الأخيرة (بعيد الثورة الليبية (2012-2013)). ضمن عملنا قمنا بدراسة 159 نقيشة تتوزع كالآتي:

- 94 نقيشة جنائزية

- 64 نقيشة تخليدية.

ومن هذا المنطلق نلاحظ أن أغلب الدراسات تبين بعمق ثراء المخزون النقائشي العثماني لمدينة طرابلس الغرب مع غياب شبه كلي للنقائش بالمدن الأخرى باستثناء وجود القليل منها في بعض هذه المدن (اثنتان بمرزق⁴ واثنان بينغازي، صور 5 و6)⁵. وأمام هذا الثراء الكمي والتنوعي للنقائش الإسلامية الليبية بات من

¹ عبد الله جاد، 2010.

² ملاحظة: وقعت طرابلس الغرب (ليبيا حالياً) تحت السيطرة العثمانية في سنة 1551 وتواصل الحضور العثماني بالقطر الليبي قرابة 360 سنة (إلى حدود سنة 1911). وتنقسم هذه المدة إلى ثلاث فترات: العهد العثماني الأول (1551-1711) / الفترة القرمانلية (1711-1835) / العهد العثماني الثاني (1835-1911).

³ Ben Sassi, 2014.

⁴ نقيشة لقلعة مرزق وشاهد قبر ملحق بجامع قلعة مرزق. انظر Ben Sassi, 2014, p. 902.

⁵ شاهدين بضريح رشيد باشا بينغازي. انظر Ben Sassi, 2014, p. 902.

الضروري إنجاز مدونة شاملة تهتم بالنقائش الليبية وتكون متاحة على شبكة الانترنت للباحثين للاستئناس بها عند الحاجة. وبذلك تكون هذه المدونة وسيلة لحفظ هذه الوثائق المصدرة المهمة، تفاديا لما يمكن أن يحصل لهذه النقائش من إتلاف مثلما وقع للكثير منها خلال السنوات الأخيرة حيث تعرضت مجموعة من المقابر والأضرحة العثمانية بطرابلس وبنغازي للتخريب والإتلاف (صور 7 و8).

صورة 05 و06:

شاهدا قبر رشيد باشا بنغازي. تظهر جليا حالة الإتلاف التي جرت بالمعلم الجنائزي. (صور مصطفى البركي 2008 و2013).



صورة 07 و08:

مقبرة جامع أحمد باشا القرماني بطرابلس التي تعتبر من أكبر المعالم الجنائزية بالمدينة وبالقطر الليبي عموما. قد وقع إتلاف مجموعة كبيرة من الأضرحة والشواهد بالمقبرة سنة 2012. ومن حسن الحظ فقد قمنا بتوثيق ودراسة تلك الشواهد القبرية (بين سنتي 2007 و2010) قبل إتلافها (صور الباحث 2009 و2013).



3.. الخصائص العامة للنقائش الإسلامية الليبية:

لقد تبين لنا من خلال ما سبق ذكره في هذه الدراسة أن القطر الليبي زاخر نسبيا بأعداد هامة من النقائش الإسلامية، رغم محدوديتها مقارنة مع الأقطار الإسلامية الأخرى (مصر وتونس مثلاً)، وهو ما تبين من خلال العدد المحترم من الدراسات المهمة بهذا التخصص. ونود في هذا القسم من دراستنا إعطاء فكرة أولية وجيزة عن خصائص ومميزات النقائش الإسلامية بالقطر الليبي لا من الناحية العددية كما أشرنا سلفاً بل من ناحية الشكل والمضمون. والأسئلة المطروحة هنا هل قدمت مجمل تلك الدراسات الجزئية على قلتها فكرة واضحة عن الموروث النقائشي الإسلامي الليبي؟ وما أهمية هذه النقائش الإسلامية الليبية عموماً؟ وما هي أهم خصائصها؟

بالنسبة إلى النقائش الإسلامية المبكرة فقد حظيت باهتمام بعض الدارسين الذين تركز اهتمامهم أساساً على الجوانب الفنية (التركيز على أسلوب ونمط الكتابة) دون التطرق إلى الجوانب المادية (دراسة المحامل بشكل أعمق). في حين ظل الاهتمام بالمضمون سطحياً تقريباً مقتصرًا على التأريخ. ولقد مكّننا الجدول الأبجدي المرفق بدراسة الباحثة إيناس بوبطانة، والذي تم رسمه انطلاقاً من النقائش المدروسة بمنجزها (ق 2-6 هـ/ق 8-12 م)¹، من التعرف على تطور الخط الكوفي المصاحب لشواهد القبور الليبية. وبذلك فقد مثلت هذه الدراسة مرجعاً مهماً رغم محدودية عدد النقائش التي تم الاشتغال عليها (27 شاهد). وقد تبين أن النقائش الجنائزية الليبية للفترة المبكرة كانت متأثرة بالموروث النقائشي التونسي والمصري بحكم موقع ليبيا

¹ بوبطانة، 2003، ص 173 و 174.

الجغرافي الذي مثل حلقة وصل بين الشرق والغرب الإسلاميين وبحكم العلاقات الحضارية التي ربطت ليبيا بهذين الإقليمين.

لقد ظهر التأثير المصري على المناطق الشرقية وعاصمتها برقة التي مثلت منذ القدم قاعدة ومنطلقا للفتوحات الإسلامية، في حين كان تأثيرها على طرابلس والإقليم الغربي عموما محدودا إن لم يكن معدوما، حيث طغى على هذا الأخير التأثير التونسي نظرا لقربه وامتداده الجغرافي. وقد ظهر على العديد من النقائش الإسلامية التي عثر عليها في الإقليم الشرقي الليبي تشابها في أسلوب ونمط الكتابة وزخرفتها مع نظيراتها بمصر، في حين ظهر التشابه إلى حد التماهي كبيرا بين النقائش الإسلامية بالإقليم الغربي وطرابلس خاصة وبين النقائش التونسية وخاصة القيروانية منها¹.

صورة رقم 09:

بعض النقائش الإسلامية القيروانية المحفوظة بإحدى المستودعات بالجهة (على شكل سيف). قد جاءت بعض النقائش الجنازية الليبية، والطرابلسية تحديدا (صورة 5)، على هذا النمط حيث يظهر التشابه كبيرا بينهما في أساليب الكتابة والزخرفة (صورة لطفي عبد الجواد 2015).



¹ يتضح هذا التشابه خاصة في النقائش الجنازية. وهو ما لاحظناه انطلاقا من بعض الشواهد القبرية الموجودة بمتحف السرايا الحمراء بطرابلس (صورة 5) ونظيراتها الموجودة بمستودعات القيروان والمنستير (صورة 10).



بالنسبة إلى محامل النقائش الإسلامية الليبية فقد اعتمدت أساسا على الرخام باستثناء البعض منها التي وظّفت الحجارة الجيرية والرملية لغرض تدوين النصوص النقائشية خاصة بالإقليم الشرقي من البلاد¹. وظل الرخام الأبيض الإيطالي الأكثر استعمالا خاصة في المناطق الغربية من القطر الليبي، حيث دأب النقاشون على استعمال وتوظيف المناطق الأثرية والمعالم القديمة (لبدة، صبراتة وأويا) كمقاطع للحجارة. ومن ناحية الشكل أمكن لنا من خلال ما جمع ودرس من النقائش الإسلامية المبكرة ملاحظة أن هذه النقائش قد غلب عليها الشكل المستطيل الكلاسيكي القديم. وقد شاع استعمال هذا النموذج بالتوازي في المنطقة الشرقية والغربية من القطر الليبي كما هو الشأن بمصر وتونس. وقد تفردت طرابلس منذ بداية القرن السادس هجري الموافق للقرن الثاني عشر ميلادي باستخدام النقائش الإسلامية على شكل سيف (صورة 5) الذي كثر استخدامه بالنقائش القيروانية، وهو ما يدفعنا إلى الاعتقاد بكونها صنعت بإحدى الورشات القيروانية نظرا لشدة التأثيرات المعمارية والفنية بين تونس والإقليم الغربي الليبي. لكننا لا نستطيع الجزم بهذه الفرضية نظرا لغياب المعطيات بالمصادر التاريخية المهمة بالشأن المعماري عموما. وقد تواصلت التأثيرات المعمارية والفنية بين تونس والمجال الليبي الغربي في الفترة الحديثة حيث ساهم العديد من الصناع التونسيين في إضفاء اللمسة الفنية على المعالم الإسلامية الطرابلسية. وتجلى ذلك مثلا في مجال الخزف حيث حظر خزف القلائين في تزيين جدران بعض المساجد (مسجد القرماني وقرجي بطرابلس) وبعض المنازل (منزل قرجي ومنزل محسن ومنزل القرماني)² في مدينة طرابلس العتيقة.

وبالنسبة إلى تقنيات الكتابة على النقائش الجنائزية الليبية للفترة الإسلامية المبكرة فقد غلب عليها الأسلوب الغائر مع استعمال الكتابة البارزة أحيانا، في حين كتبت مجموعة النقائش التخليدية القليلة (14 نقيشة)، والتي عثر عليها ببعض مساجد إقليم الجبل الغربي وبكنيسة رأس الهلال بالجبل الأخضر، بالخط الكوفي البسيط، وهي بذلك أقل قيمة فنية مقارنة بنظيراتها الجنائزية الليبية وحتى المعمارية القيروانية³. وقد تأثر الأسلوب الكوفي بجبل نفوسة بطابعه المحلي، فبقدر ما تشترك هذه المنطقة مع بقية المناطق الليبية في الإسلام

¹ بوطانة، 2003، ص 133.

² Ben Sassi, 2014, p. 165.

³ الورفلي، 2007، ص 131.



المبكر، فهي تمثل وجها آخر من أوجه الطابع الإسلامي في الفن¹. وانطلاقا من النماذج النقائشية التخليدية المدروسة اتضح لنا مواكبة الموروث النقائشي الليبي النقلة النوعية للخط الكوفي البسيط انطلاقا من النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة، وهو ما نجد أثره خاصة بالنقائش الجنائزية التي تناولتها بعض الدراسات الليبية، وهي نصوص نقشت في مجملها بأسلوب الحفر الغائر باستثناء القليل منها حيث يعود أقدمها إلى عام 205 هـ/820-821 م عثر عليها بمدينة إجدابيا.

ومن الناحية الفنية أيضا قد قدمت لنا النقائش الإسلامية الليبية المبكرة لمحة عن الأسلوب والموروث الفني من خلال الزخرفة الواردة بها، حيث خلت معظم النقائش الجنائزية تقريبا من الأطر الزخرفية المحيطة بالنصوص باستثناء البعض منها والتي حوت زخرفة نباتية أو هندسية بسيطة (دوائر هندسية صغيرة متلاصقة تشبه الضفائر وأخرى تشبه المسبحة)، في حين تميزت النقائش المصرية لنفس الفترة بالثراء الزخرفي². فكلما تقدمنا في الزمن أصبحت الكتابة النقائشية الليبية تزين نفسها بنفسها ووظفت باعتبارها عنصرا زخرفيا (ق 6هـ/12م) في شكل أطر وأشربة كتابية تحيط بشاهد القبر الذي جاءت في شكل سيف³. أما النقائش التخليدية فقد حضرت فيها الزخارف النباتية والهندسية (في شكل دوائر وعقود وأزهار ذات فصوص متعددة مطعمة بزخارف نباتية)⁴. وقد رافقت هذه الأنواع من الزخارف عموما النقائش الدينية بالأساس (آيات قرآنية وصيغ دينية). واتضح من خلال النموذج الوحيد للنقائش المعمارية المؤرخة بدقة (ق 5 هـ / ق 11م)، والذي عثر عليه بالجبل الغربي، أن الأسلوب الكوفي المورق وجد له مكانا بالحقل النقائشي الإسلامي الليبي مع بعض التأثيرات للخط المغربي الذي استعمل في كتابة المخطوطات في تلك الفترة⁵.

ومن الناحية التاريخية يمكن القول بأن النماذج النقائشية المعمارية للفترة الإسلامية المبكرة، والتي عثر عليها إلى حد الآن، لم تقدم لنا الكثير من المعلومات التي من شأنها إمالة اللثام عن عديد القضايا التاريخية للقطر الليبي عموما (ثقافية، حضرية، سياسية...). فباستثناء نقيشتين مؤرختين بدقة فإن النصوص النقائشية

¹ الورفلي، 2007، ص 131 و 132.

² بوطانة، 2003، ص 135.

³ Rossi, 1953, pp. 39, 40, 43 et 45.

⁴ الورفلي، 2007، ص 128.

⁵ الورفلي، 2007، ص 130.



الأخرى تبدو شحيحة بالمعلومات التاريخية: تعود الأولى لكنيسة رأس الهلال بالجبل الأخضر (بشرق ليبيا، مؤرخة بعام 104هـ/722-723م)¹، وتعود الثانية لمسجد تنومايت بالجبل الغربي (جبل نفوسة، مؤرخة بعام 454 هـ/1062م)²، حيث تؤرخ هاتان النقيشتان لمعلمين دينيين مختلفين (مسجد وكنيسة).

وبالنسبة إلى النقائش الجنائزية لنفس الفترة فإن **موضوعاتها** وصيغ نصوصها متشابهة وهي تنمهي مع النصوص النقائشية المصرية والتونسية لنفس الفترة. فإلى جانب المعلومات حول الأسماء وتواريخ وفاة الأشخاص حفلت تلك النصوص بالصيغ الدينية البسملية والشهادتين والأدعية الدينية وعبارات التوحيد والتصلية. ومن الآيات القرآنية التي شاع استعمالها على الشواهد القبرية ما اقتبس من سور آل عمران والأحزاب والأنبياء وفصلت والقمر والإخلاص³. ولكن المعلومات التاريخية في هذا الصنف من النقائش نادرة، فهي لا تورد مثلاً أسماء لقضاة وعلماء أو أسماء لبعض المهنيين والحرفيين على عكس النقائش المصرية والتونسية التي حفلت بمثل هكذا أسماء. وقد جاءت التواريخ الواردة بنصوص النقائش الجنائزية (تواريخ الوفاة) في صيغة جمل ما عدا مثلاً واحداً (516 هـ/1122-1123) وردت فيه سنة الوفاة بالأرقام⁴.

وبالنسبة إلى **الفترة العثمانية** فقد اتضحت لنا الصورة أكثر فكانت أكثر شمولية بحكم تخصصنا المباشر وتفردنا إلى حد اليوم بدراسة شاملة جمعت بين صنفَي النقائش العثمانية من جهة (نقائش تخليدية وأخرى جنائزية)، والمقاربة تحليلية التي جمعت بين الاهتمام بشكل ومضمون النقيشة من جهة أخرى. وإلى جانب المعطيات التاريخية المتصلة بالمعلم التاريخي الذي يخلد له النص النقائشي، أو بالشخص المتوفى صاحب القبر، أو ببعض المعطيات المتعلقة بطرابلس الغرب كمدينة أو إيالة عثمانية عموماً، مكنا الاهتمام بهذا الصنف من المصادر من استنباط مجموعة من الملاحظات والمعلومات حول المدونة النقائشية الليبية للفترة العثمانية. وقد تنوعت النقائش العثمانية الليبية (خاصة الطرابلسية منها) لتنفرد ببعض الخصائص التي ميزت طرابلس الغرب

¹ بالحاج، 1968، ص 16.

² الورفلي، 2007، ص 129.

³ في هذا الإطار انظر بوظانة ص 132. وحول هذا الموضوع نحاول هذه الأيام ختم مقال تحت عنوان "الأدعية من خلال النقائش الإسلامية العثمانية لطرابلس الغرب (1551-1911)" وذلك في إطار الندوة الدولية حول "الدعاء في الديانات السماوية" والتي ستعقد بجامعة الزيتونة في يومي 25 و26 أبريل 2023. وتطرقنا فيه إلى مجل الصيغ الدعائية الواردة بالنقائش الإسلامية الليبية في مجمل الحقب التاريخية.

⁴ بوظانة، 2003، ص 71.



عن غيرها من الولايات والإيالات العثمانية (تونس والجزائر مثلا)، رغم اشتراكها في الكثير من الملامح. ونورد في الأسطر الموالية أهم خصائص النقائش الإسلامية الليبية للفترة العثمانية.

من الناحية العددية، تعتبر النقائش الإسلامية للفترة العثمانية (1551-1911) الأكثر وفرة مقارنة ببقية الفترات من التاريخ الإسلامي. وقد قمنا بمجرد أكثر من مائتي نقيشة¹ درسنا منها مائة وتسعة وخمسين نصا نقائشيا باللغة العربية تسمح فترة فاقت الثلاثة قرون ونصف². وقد تركزت هذه النقائش بالعاصمة طرابلس مع بعض النقائش المحدودة عدديا بكبرى المدن الليبية³. وتشكل هذه المادة الأثرية قاعدة بيانات تسمح للباحثين بالحصول على فكرة دقيقة حول الجوانب المختلفة للعاصمة طرابلس أو للإيالة العثمانية عموما.

من الناحية الشكلية والفنية دُوت أغلب النقائش العثمانية على مجموعة من المحامل الرخامية مع حضور الحجر الجيري والخزف في بعض المناسبات القليلة، حيث عثرنا على ثلاثة نصوص نقائشية طليت على لوحات خزفية مجلوبة من تونس تحمل توابع الخزاف الخميري بالقلائين⁴. وقد طغا على مجمل النقائش المعمارية التخليدية الشكل المستطيل مع بعض الأمثلة المربعة الصغيرة (في مناسبتين). في حين نقشَت النصوص الجنائزية على شواهد قبرية في شكل أعمدة رخامية ذات أصناف مختلفة (مربعة، اسطوانية...). وقد علت أغلب هذا الصنف من الأعمدة عمامات (49 نموذجا) مختلفة الأحجام والأنواع حسب الجنس والوظيفة الاجتماعية، فاختلفت وتطورت عبر أهم المراحل والظروف السياسية بالإيالة والإمبراطورية العثمانية عموما، حيث أضحى الطربوش العثماني (fez، شاشية اسطنبولي كما يعبر عنها في الأوساط العامة) الميزة الأساسية لأغلب الشواهد القبرية التي جاءت إثر الإصلاحات والتنظيمات العثمانية وبعدها (منذ 1839) في ارتباط وثيق بما يحصل من تغيرات سياسية بالباب العالي. وتميزت الشواهد القبرية الطرابلسية العثمانية بالتنوع ليشهد المجال الليبي حضور الشواهد المتعددة الأحجام والأشكال المتأثرة بالنموذج الإسطنبولي، وهي على

¹ بالنسبة لأطروحة الدكتوراه التي أنجزناها سنة 2014، فقد تضمنت 159 نصا نقائشيا باللغة العربية. في حين بلغ العدد الجملي من النقائش قرابة المائتين نقيشة جاءت باللغتين العربية والعثمانية.

² Ben sassi, 2014, p. tableau 1, p. 24.

³ حسب تجربتنا الميدانية فقد تركزت أهم النقائش المعمارية والجنائزية بالعاصمة طرابلس مع بعض النقائش بمركز (واحدة معمارية أخرى جزائرية) وبنغازي (نقيشة معمارية واثنتان جنائزية). هذا ويبقى الباب مفتوحا لما ستكشف عنه الدراسات الأثرية اللاحقة.

⁴ Ben sassi, 2014, p. 165.

الأرجح مجلوبة من الباب العالي. ولكن رغم التشابه الكبير بين الشواهد القبرية الطرابلسية وشواهد أضرحة العاصمة طرابلس فإننا لا نستطيع أن نجزم بهذه الفرضية بحكم عدم عثورنا على معلومات تاريخية أكثر دقة، رغم وجود وثيقة أرشيفية متعلقة بنقيشة تخليدية أُعِدَّ نصها باسطنبول خصيصا لإحدى معالم طرابلس¹. وعليه يمكن القول بإمكانية جلب بعض الشواهد القبرية للنخب السياسية والاجتماعية الطرابلسية من اسطنبول خاصة وقد لاحظنا أثناء عملنا الميداني بمقابر هذه المدينة تطابقا كبيرا في الشكل ونمط الكتابة بين الشواهد القبرية الليبية عموما وشواهد قبور العاصمة العثمانية².

صورة 10 و 11 و 12:

نماذج من شواهد القبور الطرابلسية للفترة العثمانية (1551-1911) والمتأتية من تربي محمد باشا شائب العين وأحمد باشا القروانلي ومقبرة سيدي مُنيدر. قد كان هذا الصنف من الشواهد القبرية معتمدا كثيرا بالعاصمة اسطنبول.



¹ الأرشيف العثماني باسطنبول، إرادة داخلية، وثيقة عدد 16778. تبين من خلال هذه الوثيقة أن النص الوارد بها كان معدا لنقيشة مستشفى شارع الزاوية بمدينة طرابلس.

² ماي 2013: زيارات وأعمال ميدانية بمعالم ومقابر مدينة اسطنبول بالتعاون مع المركز الفرنسي للدراسات الأناضولية IFEA.



تميزت النقائش الليبية العثمانية بتعدد أساليب وأنماط الكتابة حيث حضر الكوفي في نموذج نقائشي وحيد (القرن السادس عشر) وترك مكانه نهائيا للأنماط الكتابية الأخرى التي توفرت بكامل فترات الحقبة العثمانية (1551-1911). وقد سجلنا استعمال قلبي الثلث والفارسي (النستعليق) بكثرة وبالتوازي العددي تقريبا ضمن مجموعة من النصوص النقائشية (85 نصا دون الثلث و75 نصا دون الفارسي أغلبهم بالعاصمة طرابلس)، وظل الفارسي (النستعليق) الخط الأساسي للشواهد القبرية التي دونت أغلب نصوصها باللغة العثمانية خاصة¹. وقد رافق النسخ عددا محترما من النقائش (37 نصا)، في حين ظل المغربي بمثابة الإرث الثقافي المحلي الذي تواصل استعماله في الفترة نفسها (15 نصا).

لقد نقشت أغلب النقائش الليبية للفترة العثمانية بالأسلوب البارز (قراءة 180 نصا نقائشيا أغلبها بطرابلس) الذي رافق خاصة الخط الفارسي (النستعليق) والثلث بالنصوص التخليدية والجنائزية. وتعود أقدم نقيشة نقشت بالخط البارز إلى موفى القرن السادس عشر. وبالنسبة إلى الكتابة الغائرة فقد حضرت ب 36 نصا نقائشيا تخليديا و11 نصا جنائزيا. وقد ظهرت خلال الفترة العثمانية تقنية كتابية جديدة تقوم على تنزيل الرصاص بعد تدويبه في الكتابة الغائرة ليكون طبقة خارجية سوداء في تناسق مع الرخام الأبيض الناصع. وقد استعملت هذه التقنية الكتابية ب 21 نقيشة كتبت أغلبها بخط الثلث. وقد ظلت أصول تقنية الترصيع غير معروفة بدقة رغم أنها انتشرت بالأقطار المغاربية الثلاثة² دون استعمالها باسطنبول.

¹ ملاحظة: حضر الفارسي ب 9 نقائش تخليدية للفترة العثمانية أغلبها بطرابلس.

² سجل بإيالة تونس قرابة 100 نقيشة استأثرت العاصمة بثلاثي هذا العدد. انظر الجراي، فتحي، 2017، "مدونة النقائش بالإيالات العثمانية المغاربية وأهميتها في الدراسات المتعلقة بالعهد الحديث" السبيل: مجلة التاريخ والآثار والعمارة المغاربية (نسخة الكترونية)، عدد 4، ص 17.

صورة 13:

نقيشة مسجد المكني بطرابلس (شعبان 1123 هـ/ سبتمبر-أكتوبر 1711م) وهي معروضة بمتحف السرايا الحمراء. اعتمدت هذه النقيشة على تقنية الترسيع والنص الشعري (صورة الباحث 2009).



وفيما يتعلق بالنصوص النقائشية فقد أبرزت الدراسات المهمة بالموروث النقائشي العثماني بليبيا عموما حضور اللغة العثمانية (التركية القديمة)، حيث بلغ عدد النصوص النقائشية المكتوبة باللغة العثمانية 62 نصا من جملة 220 نقيشة، أي بنسبة 28 بالمائة. وجغرافيا تتركز أغلب النقائش المكتوبة باللغة العثمانية بوضوح بمدينة طرابلس (215 نقيشة)، بينما لم يسجل الشرق الليبي إلى حد الآن سوى نقيشتين من جملة ثلاث تعود لمعالم مدينة بنغازي (ضريح رشيد باشا متصرف بنغازي)، وكذلك الشأن بالنسبة إلى إقليم الجنوب حيث لم نسجل سوى نقيشة واحدة بمدينة مرزق من جملة اثنتين (ضريح مصطفى باشا قائمقام فزان). ويعود ذلك إلى أهمية استقرار الجالية التركية بالسواحل عموما وبطرابلس المدينة خصوصا، وإلى تجاوب العاصمة مع التأثيرات الثقافية للعثمانيين، مقابل محافظة بقية المناطق على إرثها وتراثها المحليين ولاسيما المناطق الجنوبية الليبية، التي كان الحضور العثماني فيها محدودا ومتأخرا، حيث لم يخضع هذا الإقليم للسيطرة العثمانية الفعلية سوى في فترة يوسف باشا القرمانلي (1795-1832). وقد تكشف استعمال اللغة العثمانية بالنصوص النقائشية خلال



الفترتين العثمانيتين الأولى (1551-1711) والثانية (1835-1911) مع غياب شبه كلي في الفترة القرمانيّة (1711-1835). وقد كانت النصوص الجنائزية الأكثر كتابة باللّغة العثمانية، في حين كان حضور هذه اللغة قليلا بالنصوص التخليدية، فقد توزع حضورها بهذا الصنف على مجموعة من المعالم دون هيمنة صنف بعينه على آخر.

وتعتبر النصوص الشعرية من السمات الأساسية المميزة للنقائش العثمانية، حيث حضر هذا الصنف الأدبي بالنقائش التخليدية والجنائزية، وختمت أغلب النصوص النقائشية الشعرية بالتاريخ بحساب الجمل (chronogramme) مرفوقة في بعض الأحيان بالتأريخ بالأرقام الهندية. ولكن هذا الحضور الشعري لم يمنع ناظمي النصوص النقائشية من مواصلة توظيف النصوص النثرية التي ظلت سائدة منذ العهد الوسيط.

ومن خلال هذه المعطيات المتعلقة باللّغة وأنماط الكتابة وأساليبها واستعمال الشواهد القبرية "الاسطنبولية" توفرت لنا بعض المؤشرات حول مسألة "العثمنة" الثقافية التي كانت قوية بالإيالة، ولم تكن بنفس النسق خلال الثلاثة قرون والنصف من الحضور العثماني، وإنما اختلفت وخضعت لطبيعة ومنطق العلاقة بين المركز والأطراف، أي طبيعة العلاقات التي ربطت حكام الإيالة مع الباب العالي. فقد عرفت الإيالة استقلالية نوعية في فترة حكم العائلة القرمانيّة (1711-1835) لطرابلس على عكس ما شهدته من تبعية وسلطة مباشرة في العهدين العثماني الأول (1551-1711) والثاني (1835-1911). كما كانت اللّغة العثمانية حاضرة أكثر بالنقائش الجنائزية، وبذلك لم تنتزل ضمن سياق رسمي ولم تكتسح الفضاء العام وإنما اقتصر على النخبة كما تبرزه ذلك ألقاب وأنساب العائلات الواردة بالنقائش الجنائزية.

لقد قدمت النقائش الليبية للفترة العثمانية بشكل أو بآخر بعض المؤشرات والمعطيات التاريخية المتصلة بالمعالم الأثرية وأصحاب الشواهد القبرية وبعض المعطيات ذات العلاقة بتاريخ مدينة طرابلس خصوصا والإيالة ومجتمعها عموما. وهذه المعطيات من شأنها أن تدرس في إطار مقاربات ومقارنات إقليمية يمكن أن تتناول العديد من القضايا ذات العلاقة بالتاريخ العثماني عموما. فمدونة طرابلس حافلة بالأبعاد والمعلومات حول التأثيرات العثمانية في المجالات الفنية والمعمارية والثقافية، وقد قدمت لنا طبيعة الوجود العثماني بالإيالة عموما. ولكن رغم قلة البحوث والدراسات المتعلقة بالنقائش الإسلامية الليبية للفترة العثمانية (1551-1911) مقارنة بالجزائر وتونس، فإن مؤشرات ومضامين المدونة النقائشية لهذا القطر تبدو واعدة نظرا لتفردا بطبيعة



العلاقة بين الإيالة والسلطة المركزية (الباب العالي). وعموما وردت بعض المؤشرات المتعلقة بعدد الجوانب التاريخية نذكر منها:

- التطور المعماري والحضري خلال الفترات الثلاث من التاريخ العثماني للإيالة.
- الملامح السياسية.
- الوضعية الاقتصادية من خلال بعض المؤشرات ببعض النقائش خاصة المعمارية منها.
- طبيعة التحصينات والوضعية العسكرية عموما.
- تصحيح وتعديل بعض الأحداث التاريخية.
- وضعية طرابلس بين الاستقلالية والإصلاحات العثمانية.
- تطور التربة والمقابر والشواهد القبرية الليبية ومحتوياتها خلال الفترة العثمانية.
- الموروث المحلي والوافد.

4. خاتمة:

على الرغم من قلة الدراسات وتأخرها بالمقارنة مع بقية الأقاليم، فإن الموروث النقائشي الليبي لا يزال يكشف ثراء نوعيا يوما بعد يوم. وقد ظهرت أولى الدراسات النقائشية في الفترة الاستعمارية الإيطالية في شكل أعمال توثيقية تجميعية بأفلام غربية. وفي مطلع القرن الحالي بدأت الدراسات الأكاديمية الحديثة تظهر لتؤسس نمطا جديدا يقوم على الجرد والتحليل الدقيق لجل جوانب النقيشة شكلا ومضمونا.

وقد تنوعت الأبعاد الفنية للنصوص النقائشية حيث ساد وتطور استعمال الكوفي طيلة الفترة الوسيطة على غرار ما حصل ببقية الأقطار الإسلامية. وقد شهدت المدن الليبية وخاصة طرابلس انفتاحا كبيرا على الوافد الثقافي ساهمت فيه التأثيرات الإقليمية القريبة والبعيدة، حيث ظلت الجهة الشرقية الليبية منذ الفترة الإسلامية المبكرة منفتحة عن التأثيرات الثقافية والفنية المصرية في حين امتزج الإقليم الليبي الغربي بالتأثيرات الثقافية والفنية التونسية.



وفي الفترة العثمانية (1551-1911) تطورت النقائش شكلا ومضمونا لتتفتح بقوة على الموروث العثماني الذي ترك بصمته على النقائش التخليدية وخاصة الجنازية منها، وبذلك تأثر الموروث المحلي الليبي بالوفد العثماني الذي فرض بعض المؤشرات التي رافقت الهيمنة السياسية منذ منتصف القرن السادس عشر، حيث أدرجت مجموعة مهمة من النصوص الشعرية ذات اللغة العثمانية بعدد هام من النقائش. عموما يظل مشروع المدونة النقائشية الإسلامية الليبية قائم الذات خاصة وأن العديد من النقائش مهددة بالاندثار في ظل المتغيرات السياسية التي تؤثر بشكل مباشر على الآثار عموما والنقائش خصوصا. وتمثل هذه الأخيرة مصدرا مهما لدراسة عديد الجوانب التاريخية والفنية للحضارة الإسلامية في فتراتها المتعددة. وبفضل المدونة الشاملة المنشودة يمكن أن نساهم في حماية هذا الموروث الثقافي من الاندثار وأن نضع قائمة مصدرية يمكن العودة إليها والاستئناس بمحتواها عند الحاجة.

5.. البيلوغرافيا :

المراجع باللغة العربية:

- أبو حامد، سعيد، 1995، "نقوش كتابية في طرابلس من العهد العثماني"، ليبيا القديمة، عدد1، طرابلس، ص ص 35-44.
- الجراي، فتحى، 2017، "مدونة النقائش بالإيالات العثمانية المغاربية وأهميتها في الدراسات المتعلقة بالعهد الحديث" السبيل: مجلة التاريخ والآثار والعمارة المغاربية (نسخة الكترونية)، عدد 4.
- سامح، عزيز، 1989، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر. محمود علي عامر، بيروت.
- عبد الله جاد، سهام، 2010، النقوش الشاهدية في طرابلس الغرب إبان العصر العثماني الأول والعصر القومانلى (958-1251هـ / 1551-1835م) "دراسة آثارية فنية"، أطروحة دكتوراه، إشراف محمد حمزة إسماعيل الحداد، كلية الآثار، جامعة القاهرة.
- محمد علي بوطانة، ايناس، 2003، الخط الكوفي على شواهد القبور في ليبيا بين القرنين 2 و6 هـ / 8-12 م، رسالة ماجستير، إشراف سعدي الدراجي، جامعة قارونس.
- المقيد الورفلي، محمد سالم، 2007، بعض الآثار الإسلامية بجبل نفوسة في ليبيا، منشورات مصلحة الآثار، ليبيا.



- الأرشيف العثماني باسطنبول، إرادة داخلية، وثيقة عدد 16778.

المراجع باللغة الأجنبية:

- Abdeljaouad, Lotfi, 2001, *Inscriptions arabes des monuments islamiques des grandes villes de Tunisie : Monastir, Kairouan, Sfax, Sousse et Tunis* (2ème s. / 8ème s. – 10ème / 16ème), thèse de doctorat (4 vols) nouveau régime (dir. de S. Ory), Université Aix-Marseille I.
- Aoudi-Adouni, Raja, 1997, *Stèles funéraires tunisoises de l'époque hafside* (628-975/1230-1574), 2 vols, Tunis, INP.
- Aurigemma, Salvatore., 1918, « Le fortificazioni della città di Tripoli », *Notiziario archeologico*, anno II, fasc I-II, Roma, pp. 217-300.
- Aurigemma, Salvatore, 1970, *L'arco Quadrifronte di Marco Aurelio e di Lucio vero in Tripoli*, Departement of Antiquities, Tripoli.
- Ben Sassi, Ali Cheib, 2014, *Les inscriptions de Tripoli d'Occident à l'époque ottomane (1551-1911) : étude épigraphique et historique*, Thèse de doctorat (dir. A. Saadaoui et F. Imbert), Aix-Marseille Université, 3 vols.
- Colin, Gaberiel, 1901, *Corpus des inscriptions arabes et turques de l'Algérie*, Paris.
- Combe, Etienne ; Sauvaget, Jean et Wiet, Gaston, 1931-1964, *Répertoire chronologique d'épigraphie arabe (RCEA)*, Le Caire, 14 vols.
- EL-Habib, Mustapha, 1972, *Stèles funéraires kairouanaises d'époques fatimide et zîride*, thèse de doctorat, sous la direction de J. Sourdél-Thomine, Paris-Sorbonne.
- Houdas, Octave et Basset René, 1882, « Epigraphie tunisienne », *Bulletin de Correspondance Africaine*, IV, Alger, pp. 1-40.
- Jarray, Fathi, 2007, *Inscriptions des monuments de la régence de Tunis à l'époque ottomane : étude épigraphique et historique*, Thèse de doctorat (dir. Solonge Ory et Mounira Remadi Chapetot), Aix-Marseille I (4 vols).
- Levi-Provençal, Evariste., 1931, *Inscriptions arabes d'Espagne*, 2 vols., Leiden-Paris.
- Maoudoud, Khaled, 1983, *L'art funéraire sous les banu Ḥurāsān (454-554 / 1062-1159)*, thèse de doctorat (dir. de J. Sourdél-Thomine), Paris-Sorbonne.

- Marcel J.J., 1826, « Mémoire sur les inscriptions koufiques », *Apud Description, Etat moderne*, T. XV, Paris, p. 5-22.
- Michele, Amari, 1975, *Le epigrafi arabiche di Sicilia, Palermo*.
- Rossi, Ettore, 1953, *Le Iscrizioni Arabe E Turche del Museo di Tripoli (Libya)*, Department of Antiquities in Tripolitania, No. 3.
- Roy, Bernard et Poinssot, Paule et Louis 1950-1958, *Inscriptions arabes de Tunisie*, Tunis.
- Roy, Bernard et Poinssot, Paule, 1958, *Inscriptions arabes de Kairouan*, Vol. 2, fasc. 1, Paris.
- Van Berchem, Max et Edhem Halil, 1910-17, *L'Asie Mineure*, Le Caire, (*Mém. Inst. Fr. Arch. Or.*, t. XXIX).
- Zbiss, Slimane-Mostafa, 1955, *Inscriptions de Tunis et de sa Banlieue*, 1ère partie, 1er fasc. du *Corpus des inscriptions arabes de la Tunisie*, Notes et Documents, XIII, t.1er, Tunis, Imprimerie S.A.P.I.
- 1960, *Inscriptions arabes de Monastir*, 2ème partie du *Corpus des inscriptions arabes de la Tunisie*, Tunis, Imprimerie La Presse.
- 1962, *Inscriptions du Gorjâni. Contribution à l'histoire des Almohades et des Hafsides*, 1ère partie, 2 e fasc. du *Corpus des inscriptions arabes de la Tunisie*, Tunis, Institut National d'Archéologie et Arts, Imprimerie La Presse.
- 1977, *Nouvelles inscriptions de Kairouan*, 3ème partie du *Corpus des inscriptions arabes de la Tunisie*, Notes et 27- èe-Documents, 3ème série, vol.1, Tunis, Institut National d'Archéologie et d'Art, Imprimerie AL-ASRIA.

مواقع الأنترنت:

- <http://www.epigraphie-islamique.org/>.2023/01/03 تاريخ الدخول للموقع